حسابات تاريخ زمن المسيح
انطلاقاً من الميلاد

الخوري نعمة الله الخوري

في هذه السنة اليوبيليّة، نحتفل بمرور ألفي سنة على ميلاد مخلّصنا يسوع المسيح؛ حين وُلد يسوع الناصري، كان التوقيت في ذلك العصر يرتكز على حدث تاريخي مهمّ، وهو تأسيس مدينة روما. بعد عدّة قرون، لاحظ المسيحيّون أنّه من الضروري تحديد سنة الصفر لتاريخ البشريّة، ليس انطلاقاً من سنة تأسيس روما، بل انطلاقاً من حدث أهمّ، وهو ميلاد الطفل يسوع الذي غيّر مجرى تاريخ البشريّة.

يتضمّن العهد الجديد بعض المعلومات التاريخيّة حول أحداث جرت ساعة ميلاد الطفل يسوع: فقد ذهب يوسف ومريم إلى اليهوديّة ليكتتبا، تنفيذاً لأوامر أوغسطوس قيصر بإحصاء سكان الأمبراطوريّة، وهذا الإحصاء جرى حين كان كيرينيوس حاكماً على سورية (لو ٢:١-٢)؛ كذلك استدعى الملك هيرودس المجوس وتحقّق منهم عن ظهور النجم الذي أرشدهم إلى ولادة ملك اليهود (مت ٢:٧). هذه النصوص تربط ميلاد يسوع بأحداث تاريخيّة جرت ساعة التجسّد، وبالتالي نستطيع من خلال هذه النصوص أن نعرف حسابات الزمن التي تحدّد سنة الصفر، التي تتوافق مع ميلاد السيّد المسيح في بيت لحم.

أوّلاً: سنة الصفر التي تتوافق مع ميلاد السيّد المسيح

في القرون الأولى المسيحيّة، كان المؤرّخون يحدّدون أحداثهم التاريخيّة انطلاقاً من سنة تأسيس روما، التي كانت تُعتبر سنة الصفر؛ فقد توفّي هيرودس الكبير، مثلاً، في السنة ٧٥٠ لتأسيس روما. وفي القرن السادس، بعد تقلّص نفوذ الامبراطوريّة الرومانيّة في الغرب، اهتمّ الراهب ديونيسيوس الصغير بتحديد سنة الصفر، انطلاقاً من ميلاد يسوع. وجد ذلك الراهب في إنجيل لوقا مرجعاً يقول أنّ يسوع كان في الثلاثين من عمره حين بدأ رسالته العلنيّة (لو ٣:٢٣)، وكان ذلك في السنة الخامة عشرة لحكم طيباريوس قيصر (لو ٣:١). أجرى الراهب ديونيسيوس حساباته، فلاحظ أنّ السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس تتوافق مع العام ٧٨٤ لتأسيس روما؛ بما أنّ يسوع كان له من العمر ثلاثون سنة في ذلك العام، توصّل إلى تحديد سنة الصفر في العام ٧٥٤ لتأسيس روما وذلك من خلال عمليّة حسابيّة بسيطة:

٧٨٤	السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر
− ٣٠	ثلاثون سنة هو عمر يسوع في تلك السنة
٧٥٤	سنة ميلاد يسوع

هكذا اعتبر ذاك الراهب أنّ سنة ٧٥٤ لتأسيس روما هي سنة الصفر التي وُلد فيها الطفل يسوع. وغيّر المؤرّخون الأحداث التاريخيّة بحسب هذا التوقيت الجديد، وبالتالي أضحى تأسيس مدينة روما في العام ٧٥٤ ق.م. ومنذ ذلك الحين حتّى يومنا هذا، تحتسب البشريّة حسابات الزمن انطلاقاً من الميلاد الذي دشّن تاريخاً جديداً، وهو تاريخ زمن المسيح.

ثانياً: خطأ ديونيسيوس في احتساب سنة ميلاد يسوع

لم يفهم ديونيسيوس بدقّة ما أراد القدّيس لوقا أن يقوله حين حدّد بداية بشارة يسوع؛ وبالفعل يذكر الإنجيلي الثالث صراحة، أنّ يسوع كان في نحو الثلاثين من عمره في بداية حياته التبشيريّة؛ بعبارة أخرى، كان يسوع في الثلاثينات حين بدأ رسالته، هذا يعني أنّه قد يكون عمر يسوع في تلك السنة ٣٣

أو ٣٤ سنة وربّما أكثر بقليل. يُمكن القول أنّ لوقا، حين أشار إلى عمر الثلاثين، قد فكّر بعدد رمزي، لأنّ هذا العمر كان العمر المثالي في ذلك الوقت: فحين دُعي حزقيال، كان في الثلاثين من عمره (حز ١:١)؛ كذلك كان اللاّويون يتكرّسون لخدمة الهيكل في عمر الثلاثين (عد ٤:٣)؛ وقد مُسح داود ملكاً حين كان في الثلاثين من عمره (٢ صم ٥:٤).

يعتبر معظم المؤرّخون اليوم أنّ ديونيسيوس أخطأ في حساباته، لأنّ مقارنة معطيات العهد الجديد مع أرشيفات الأباطرة الرومان والمؤرّخين لا توحي بوجود تطابق فيما بينها؛ سنحاول أن نعالج الوجهة التاريخيّة لنصوص العهد الجديد التي تربط الميلاد بأحداث جرت في ذلك الوقت، لنتوصّل إلى تحديد تقريبي لحسابات الزمن التي تنطلق من ميلاد يسوع.

ثالثاً: كيفيّة احتساب سنة الصفر انطلاقاً من معطيات العهد الجديد

نجد في العهد الجديد بعض المعطيات التاريخيّة التي تساعد شرّاح الكتاب المقدّس ليتوصّلوا إلى تحديد السنة التي وُلد فيها يسوع. ولكن لا بدّ من أن نوضّح أنّ العهد الجديد ليس كتاباً تاريخيّاً، بل هو يروي اختبار الإنجيليّين الذين رووا أخبار يسوع، وأوردوا أخباراً تاريخيّة معاصرة لحدث الميلاد. لم يكن في نيّتهم الدقّة التاريخيّة التي يتطلّبها المؤرّخ في القرن العشرين، بل هم أوردوا هذه الأحداث التاريخيّة لأنّها تخدم اهتماماتهم اللاّهوتيّة. هذا يعني أنّ المؤرّخ الذي يستند إلى العهد الجديد، يجب أن يعرف تفكير الإنجيلي والمعنى الذي يريد إيصاله إلى قرّائه من خلال الخبر التاريخي. فحين ذكر لوقا أوغوسطوس قيصر حاكم المسكونة، الذي يأمر بالإحصاء فيطيعه سكّان الأمبراطوريّة، أراد أن يقول أنّه يوجد طفل فقير لا يملك أبواه مكاناً يأويان إليه، وهذا الطفل سيُضحي ملكاً، ومُلكه في السماء، وهو ثابت إلى الأبد. نحن نعلم، بدون شك، أنّ الأخبار الإنجيليّة كُتبَت بعد قيامة يسوع بفترة ملحوظة من الزمن، لذلك روى الإنجيليّون أحداثهم بعد أن اختبروا حدث القيامة.

سنحاول أن نعالج ثلاثة نصوص من الأناجيل التي تساعد على تحديد سنة الصفر وهي: إحصاء كيرينيوس الذي جرى أثناء الميلاد (لو ٢:٢)، حكم هيرودس على اليهوديّة حين وصل المجوس إلى بيت لحم (مت ٢:١-١٢)، والسنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس التي تتوافق مع بداية حياة يسوع العلنيّة (لو ٣:١).

١- إحصاء كيرينيوس

أراد لوقا أن يتشبّه بمؤرّخي عصره، فحدّد سنة ولادة يسوع التي تتزامن مع حدث تاريخي، وهو الإحصاء الذي فرضه أوغوسطوس قيصر حين كان كيرينيوس حاكماً على سورية (لو ٢: ١-٢). يطرح هذا الإحصاء مشكلة أمام النقّاد، لأنّ سولبيسيوس كيرينيوس كان حاكماً على سورية في العام ٦ ب.م.، بحسب المؤرّخ يوسيفوس[١]؛ سبّب هذا الإحصاء ثورة يهوذا الجليلي الذي تبعه نحو أربعمئة رجل، وقد أخمد الرومان هذه الثورة (أع ٥:٣٧). إذا كان الإحصاء قد جرى بعد ميلاد يسوع بعدّة سنوات، فلماذا سبّق لوقا تاريخ هذا الإحصاء ليجعله متزامناً مع ميلاد الطفل يسوع؟

يقول الأب بنْوَا[٢] أنّه قد جرى إحصاء على أيّام هيرودس الكبير بعد قسمه يمين الولاء للأمبراطور بحسب عادات العصر، ويحدّد المؤرّخون هذا الإحصاء في حوالي العام ٦ ق.م. هل يمكننا أن نعتبر أنّ لوقا يُشير إلى هذا الإحصاء؟ هذا مُحتمل، ولكنّ المشكلة هي أنّ كيرينيوس لم يكن حاكماً على سورية في ذلك الوقت! يبدو أنّ كيرينوس كان مسؤولاً في ولايته قبل أن يصبح حاكماً، وقد جرى الإحصاء الذي فرضه أوغسطوس حين لم يكن كيرينيوس قد استلم مقاليد الحكم على سورية؛ ولكنّ لوقا وقع في تسبيق تاريخي[٣] (anachronisme) بإسناده إلى كيرينيوس صفة الحاكم قبل تسلّمه حكمه بعدّة سنوات. يمكننا أن نقبل بهذا الاقتراح شرط أن تكون ولادة يسوع قد حصلت قبل السنة التي حدّدها الراهب ديونيسيوس بعدّة سنوات، وهذا ممكن، وسنبرهن لاحقاً أنّ ذاك الراهب قد أخطأ فعلاً في تحديد سنة الصفر.

٢- الملك هيرودس قاتل أطفال بيت لحم

يخبرنا القدّيس متّى في روايات طفولة

١- FLAVIUS Josèphe, *Antiquités Juives*, XVII, 35; XVIII, 1-2.

٢- BENOÎT P., "Quirinius", *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, IX (1977), col. 693-620.

٣- نعطي مثلاً على التسبيق التاريخي: يقول مؤرّخ كنسي أنّ «القدّيس شربل» وُلد في بقاع كفرا. هذا المؤرّخ يقع في تسبيق تاريخي لأنّه يُسند إلى يوسف مخلوف صفة «قدّيس»، في حين أنّ الراهب شربل قد أُعلنت قداسته بعد وفاته بفترة طويلة من الزمن؛ الأصح أن يقول المؤرّخ: «وُلد يوسف مخلوف في بقاع كفرا...».

يسوع أنّ هيرودس الكبير أمر بقتل أطفال بيت لحم من عمر سنتين وما دون (مت ٢:١٦)، لأنّ المجوس سخروا منه ولم يخبروه شيئاً بأمر الطفل المولود، ملك اليهود. توفّي هيرودس في أريحا قبل فصح العام ٧٥٠ لتأسيس روما بأيّام قليلة في آذار – نيسان من العام ٤ ق.م. لا يعني موت هيرودس قبل الميلاد بأربع سنوات أنّ معلومات القدّيس متّى هي غير تاريخيّة؛ فقد كان هيرودس ملكاً على اليهوديّة ساعة الميلاد، ولنا برهان على ذلك في إنجيل لوقا الذي يقول أنّ الملاك بشّر زكريّا الكاهن بولادة يوحنّا حين كان هيرودس ملكاً على اليهوديّة (لو ١:٥). إنّ التطابق بين متّى ولوقا حول هذا الخبر يؤكّد أنّ هيرودس كان فعلاً ملكاً آنذاك، لأنّ لوقا يجهل متّى في أناجيل الطفولة، كما يعترف بذلك معظم شرّاح الكتاب المقدّس.

إذا كان هيرودس قد مات في العام ٧٥٠ لتأسيس روما، فهذا برهان دامغ أنّ ديونيسيوس قد أخطأ في احتساب سنة الصفر باعتباره أنّها تتوافق مع العام ٧٥٤ لتأسيس روما. إنّ سنة الصفر هي قبل العام ٧٥٠ لتأسيس روما، وهي على أبعد تقدير في العام ٧٤٩ لتأسيس روما[٤].

٣– السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر

استند الراهب ديونيسيوس (كما أشرنا أعلاه) إلى قول لوقا أنّ يسوع كان في الثلاثين من عمره في السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر (لو ٣:٢٣؛ رج ٣:١). لكي نستطيع تحديد السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر، نستند إلى المعطيات التاريخيّة التالية[٥]: مات أوغسطوس قيصر في ١٩ آب سنة ١٤ للميلاد، وقد خلفه طيباريوس على العرش. إنّ السنة الأولى لحكم طيباريوس قيصر تمتدّ من ١٩ آب من العام ١٤ للميلاد لغاية ١٨ آب من العام ١٥ للميلاد. تمتدّ إذاً السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر، من العام ٢٨ للميلاد لغاية العام ٢٩ للميلاد.

هذه الحسابات تعتمدها أرشيفات الأباطرة الرومان في الغرب. ولكن في الشرق طريقة الحساب تختلف، لأنّ المؤرّخين في الشرق كانوا يعتبرون أنّ سنة الأمبراطور تنتهي في نهاية السنة المدنيّة، أي في ٣٠ أيلول، لتبدأ سنة مدنيّة جديدة في الأوّل من تشرين الأوّل؛ في هذه الحالة، تمتدّ السنة الأولى لحكم طيباريوس قيصر من ١٩ آب في العام ١٤ للميلاد لغاية ٣٠ أيلول فقط من السنة عينها (أي أنّ السنة الأولى لحكم طيباريوس دامت ستّة أسابيع)، لتبدأ سنة حكمه الثانية في أوّل تشرين الأوّل من العام ١٤ للميلاد. إنّ السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس بحسب الحسابات في الشرق تمتده من ١ تشرين الأوّل من العام ٢٧ لغاية ٣٠ أيلول من العام ٢٨ للميلاد.

مهما يكن من أمر الفرق بين الحسابات في الغرب والحسابات في الشرق، فإنّ السنة الخامسة عشرة لحكم طيباريوس قيصر تتوافق مع العام ٢٧ أو ٢٨ للميلاد، وهذا يعني بالتأكيد أنّ يسوع لم يكن في الثلاثين من عمره في ذلك الوقت.

هذا برهان جديد أنّ الراهب ديونيسيوس قد أخطأ في احتساب سنة الصفر التي تتوافق مع ميلاد الطفل يسوع. نقول باختصار، إنّ ذاك الراهب قد أخطأ بحوالي خمس سنوات، وأخّر سنة ميلاد يسوع التي يجب تحديدها في حوالي العام ٧٤٩ لتأسيس روما، وليس في العام ٧٥٤ لتأسيس روما كما ظنّ ديونيسيوس. هذا يحلّ الكثير من الصعوبات في العام ٧٥٠ لتأسيس روما، لأنّ يسوع قد وُلد قبل ذلك الوقت؛ كذلك أضحى الإحصاء الذي جرى أيّام الملك هيرودس في العام ٦ ق.م. متزامناً مع ميلاد يسوع، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ كيرينيوس لم يكن حاكماً على سورية، بل كان قد تسلّم بعض المهام الإداريّة في ذلك الوقت.

خاتمة

بعد هذا العرض السريع لحسابات الزمن التي انطلقت من ميلاد يسوع، لتُدشّن تاريخاً جديداً، وهو تاريخ زمن المسيح، نلاحظ أنّ ميلاد الطفل يسوع غيّر مجرى البشريّة. يمكننا القول إنّ العالم قبل الميلاد الذي كان يعيش في الانتظار والترقب، وساعة الميلاد حمل الملائكة البشرى السارّة بأنّ المخلّص الموعود قد وُلد في بيت لحم. إنّ ميلاد المسيح يقع في وسط الزمن: نحو الميلاد توجّه تاريخ البشريّة، بدءاً بآدم، وانطلاقاً من الميلاد بدأ تاريخ زمن المسيح. لن تقتصر احتفالاتنا بمرور ألفي سنة على ميلاد يسوع في هذه السنة اليوبيليّة، بل ستظلّ الكنيسة تعيش في يوبيل دائم، حتّى نهاية الأزمنة، وهي تعيش حدث الميلاد وكأنّه قد حصل الآن، وهو يُعطي الخلاص للكنيسة التي تتذكّر دائماً هذا الحدث المؤسّس لتاريخ البشريّة الجديد.

٤– الفغالي بولس، إنجيل متّى، بدايات الملكوت (دراسات بيبليّة ١٤، الرابطة الكتابيّة، لبنان ١٩٩٦) ١٢٨–١٢٩.

٥– PERROT Charles, *Jésus et l'histoire* (collection Jésus et Jésus-Christ 11, Desclée, Paris, 1993) 74-75.